الفكر السياسي القديم والوسيط

مدرس المادة

أ.م.د. مؤيد جبير محمود

نماذج من الفكر السياسي الروماني

شيشرون

ولد شيشرون عام ١٠٦ قبل الميلاد وتوفي ٤٣ قبل الميلاد ، درس القانون في روما والفلسفة في أثينا، وتقلد مناصب عدة في الدولة حتى وصل الى وظيفة (مستشار الدولة) سنة ٦١ ق.م. ، وعاصر الحقبة الاخيرة من النظام الجمهوري في روما، وشهد انهيار هذا النظام على يد (يوليوس قيصر) الذي أقام دكتاتوريته العسكرية.

آمن شيشرون بالاعتدال السياسي وبالنظام الدستوري وبالحكم المختلط واعتبرها مثل روما وسر عظمتها لذلك عارض دكتاتورية قيصر العسكرية واتهمها انها سبب عجز روما عن حل مشاكلها الاجتماعية، واقترح شيشرون علاجات لها في ظل المؤسسات الدستورية القائمة مع الاتجاه نحو النظام الملكي في ظل الحكومة المختلطة، بعد عام واحد من اغتيال قيصر قتل اتباع انطونيو شيشرون سنة ٤٣ قبل الميلاد. وعلى خلاف افلاطون وارسطو فقد كان لشيشرون احساس أو وعي بالعالم ، ولديه نظرة عالمية أوسع، رعاها بتجربته السياسية والادارية في روما والامبراطورية ، ودعمها بالرواقية الهلينستية التي انتشرت في حوض البحر الابيض المتوسط.

أبرز الأفكار السياسية لشيشرون:

أولا: أسس الدولة الكاملة: مفهوم الدولة عند شيشرون أقيم على دعامتين أساسيتين هما :(الدستور المختلط والتطور التاريخي الدوري للدساتير).

١- تتمثل فكرة الدستور المختلط من وجهة نظر شيشرون بنظام حكم يجمع بين (الاستقرار والكمال معا). وجوهر هذه الفكرة يقوم على اساس تقسيم الحكومات الى ملكية وارستقراطية وديمقراطية (شعبية).وشيشرون يفضل النظام الملكي ويليه النظام الارستقراطي، اما النظام الديمقراطي فهو أسوأ انواع انظمة الحكم. والنظام المثالي برأيه هو الذي يمزج بين الانظمة الثلاثة لتنتج نظاما مثاليا معتدلا.

٢-وأساس فكرة التطور التاريخي عنده أن الحكومات عرضة دائما للفساد والذي يقود في النهاية الى الثورات المتكررة. فالحكم الملكي لابد وان يفسد ويتطور الى حكم استبدادي، والحكم الارستقراطي يتدهور ويتحول الى حكم اوليكارشي، والحكم الديمقراطي ينقلب الى حكم رعاع فوضويين.

ثانيا: طبيعة الدولة: يعتقد شيشرون ان الدولة نتاج طبيعي لغريزة الانسان الاجتماعية، وهو يتفق بصفة عامة مع الرواقيين الذين يعتقدون الدولة مؤسسة عقلانية مقبولة، ومع الابيقوريين الذين اعتبروا الدولة مخلوقا مصطنعا ناجما عن مصلحة الأفراد الذاتية. واتعبر الدولة هيئة سياسية متميزة عن المجتمع، والسلطة السياسية ملك الشعب، وترتب على ذلك ثلاث نتائج:

١- سلطة الدولة تنبثق من قوة الافراد مجتمعين، فالناس بمثابة منظمة تحكم نفسها بنفسها، وتمتلك بالضرورة القوة اللازمة لتحتفظ بكيانها واستمرارها في البقاء.

٢-الموظف العام الذي يمارس استخدام القوة يستند في ذلك على السلطة التي لديه بحكم وظيفته بموجب القانون.

٣- الدولة بنفسها، بما في ذلك قانونها تخضع دائما لقانون الله او القانون الطبيعي.

ثالثا: نظرية القانون الطبعي تتلخص عنده بالقول(بوجود قانون طبيعي عام ينبثق من واقع العناية الالهية للعالم كله، كما ينبثق من الطبيعة العقلية والاجتماعية للبشر، تلك الطبيعة التي تجعل الناس أقرب الى الله، وفي هذه النظرية فكرة (دستورية العالم).

ويصف القانون الطبيعي من اجل توضيحه (ان هناك في الواقع قانون البداهة والتفكير السليم، وهو قانون يماشي الطبيعة وينطبق على كل الناس، وهو قانون خالد لايتغير، ينبغي للناس بمقتضى أحكامه، أن يؤدوا ما عليهم من التزامات لما فيه من احكام ناهية، كما يحد من جنوح الناس الى ماهو خطأ...وهذا القانون الطبيعي هو ما لايجوز تعطيل أحكامه بتشريعات من صنع البشر....).

أن الافراد في ظل هذا القانون متساوون فيما يملكون من ملكات عقلية ومعتقدات بخصوص قواعد الشرف والخسة. ولا يعني هذا ان شيشرون كان يؤمن بالديمقراطية السياسية، وغنما كان يرمي الى اعطاء الأفراد شيئا من الكرامة التي هي اهم حقوق الانسان.

المصادر:

١-غانم محمد صالح، الفكر السياسي القديم والوسيط، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد، ٢٠٠١.

٢-عبد الرضا الطعان، علي عباس مراد، عامر حسن فياض، ط١،موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٥.

٣- ليو شتراوس، جوزيف كروسبي، تاريخ الفلسفة السياسية، ج١، ترجمة محمود احمد سيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.

٤- فرانسو شاتليه، تاريخ الايديولجيات، ج١، ترجمة انطون حمصي، وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٩٧.

٥- جان توشار، تاريخ الفكر السياسي، ط٢، ترجمة علي مقلد، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣.